

ثمار الرقي تحل محل العبوات الناسفة على طريق بغداد

Author: IWPR Iraq

رحلة على الطريق العام السيء الصيت الذي مَعِدّ بالمقارنة مع بقية الطرق أخطر طريق للمتمردين.

قبل سنتين ، كان اللصوص والمتمردين يسرحون ويمرحون في هذا المكان جاعلين منه أكثر أماكن العراق لاقانونية على الإطلاق. كل شخص يمر من هذا الطريق يتعرض للسرقة أو للقتل أو للاختطاف فالقليل من الناس يتوقفون طواعية هنا. وتوقف السائق الذي كان يقودنا وهو عربي من الطائفة الشيعية ذو شعر قصير ونظارات شمسية عريضة ، توقف بالقرب من عدد من أكشاك القصب.

كان المزارعون على جانبي الطريق يبيعون ثمار الرقي حيث تترتب على شكل أكوام مكونة من 3 قطع . معظم البائعين وقفوا تحت الشمس بالقرب من منتوجهم، متجنبين بذلك التوقف تحت ظل الاكشاك بالرغم من حرارة أشعة الشمس الالهية.

إلا أنه كان هناك رجل واحد فقط قد جلس في الظل وكان يرتدي دشدشة ملطخة بالطين بالإضافة الى يشماغ أحمر اللون يلتف حول عنقه. وقد بدت ثمار الرقي خاصته صغيرة وقديمة. ويبدو أنه أدرك بأنها كانت غير جديرة بأن يعرض نفسه للشمس من أجلها.

أما المسافرون وهم خليط من كرد وعرب فكانوا متجهين جميعاً الى بغداد ، حيث ترحلوا وبدأوا بانتقاء الرقي.

أما أنا فقد بدأت حديثاً مع مزارع صغير يبلغ من العمر 12 عاماً قال إن اسمه روكان وأخبرني أنه ترك المدرسة قبل ثلاث سنوات. كان شعره الطويل قد أخفى أذنيه ومؤخرة عنقه.

كانت أشعة شمس الصيف قد أحرقت بشرة وجهه وذراعيه وقد كشف عن صف من الأسنان الكبيرة والمسوسة تغطيها شفة مشققة برزت لدى حديثه معي.

في هذه الأثناء أكمل المسافرون الذين كانوا يرافقوني شرائهم لثمار الرقي حيث حملوا أكثر من دزينة منها ووضعوها في صندوق السيارة .

كنت على وشك الصعود الى السيارة عندما لَوَّح روكان الي بيديه مشيراً عليّ بالانتظار ، بعدها مباشرة قام بانتقاء إحدى ثمار الرقي وتوجه نحوي وبعد مرور ثانية واحدة أنزل الثمرة الاولى وأمسك بالأخرى.

بعدها أنزل تلك الثمرة أيضاً واختار واحدة ثالثة ، بعد أن نقر عليها ليتأكد من كونها طازجة سَلَّمها إلي قائلاً " هذه لك ".

بينما كانت الشاحنات والحافلات والمركبات الصغيرة تركن على جانب الطريق لكي تسمح لمسافريها بانتقاء ثمار الرقي كنت أنا في حالة وجدانية خاصة حيث ترك المشهد الأيجابي المائل أمام أعيني إنطباعه الخاص في نفسي.

بالنسبة لي لم أشتري من تلك الثمار إلا إنني كنت سعيداً بالتحدث إلى روكان. كما يُخيل إلي بأنه كان يأمل أيضاً أن يتوقف شخص ما ويتحدث معه عن شيء آخر ليس له صلة بثمار الرقي.

لما أعود بذاكرتي إلى الورا أتذكر تماماً كيف كنت قد سافرت عبر هذا الطريق في نيسان عام 2003 ، بعد مرور بضعة أيام فقط على الغزو الاميركي للعراق ولانزلت أتذكر مساحة زراعية مسطحة تحت سفح تلال حمريين، وبالكاد ترى أنساناً هناك فحتى الطريق

كان خالياً حينها. يجيئ لي إن الجميع قبعوا داخل بيوتهم ، ينتظرون ما سيحدث ، كما إنني كنت قد مررت من هناك عدة مرات عندما كان المتمردين في أوج نشاطهم.

كما أتذكر إحدى المرات في الضواحي الجنوبية لمدينة العظيم كان الزخم المروري شديداً جداً إلى الحد الذي اضطرت فيه العديد من السيارات إلى الوقوف جانباً.

وإنجلي الموقوف في النهاية عن تواجد الجنود الاميركان في المنطقة والذين كانوا قد قطعوا الطريق بعجلاتهم ، وفي حقيقة الأمر كنا نجهل السبب.

كنت أريد أن أعرف مالذي كان يحدث ، فقررت المخاطرة بترك الشاحنة التي كانت تقلني والاقتراب من أحد الجنود الاميركان.

توجهت بحذر نحو حاجز الطريق لأجد رجلاً ملقى على الارض وهو ينزف بغزارة. كان سائق الشاحنة كردي يقوم بنقل حواجز كونكريتية وافية من الانفجارات من معمل في أربيل الى مدينة بعقوبة المتسمة بالعنف الواقعة الى الشمال من بغداد.

تعمل هذه الجدران الكونكريتية على حماية مراكز الشرطة والمؤسسات الحكومية المُعرضة لهجمات المتمردين في بعقوبة وعناصر القاعدة.

أما اولئك الذين كانوا ضمن موكب السائق فقد تعرضوا للهجوم من قبل مجموعة مُسلحة حيث أمطرت شاحناتهم بوابلٍ من الرصاص. على أثر ذلك تعرضت إحدى الشاحنات الى الاحتراق ومن ثم تدرجت الى وسط الصحراء.

لم يتمكن الجندي الاميركي من فهم ما يقوله الرجل الجريح فكنت أنا المترجم في ذلك الوقت الذي تولى هذه المهمة.

أخبرني أحد الضباط الاميركان بانهم استدعوا طائرة مروحية لنقل الجريح فأخبرته بذلك ، الا انه اشتكى في البداية قائلاً انه يريد البقاء لوحده.

سرعان ماغيّر الرجل رأيه ، وابتسم لزملائه السائقين ، حيث يبدو ان فكرة الصعود في مروحية عسكرية قد راقته له.

جاءت المروحية العسكرية لتثير عاصفة من التراب الشديد ونقلت الجريح.

وشهد العراق هدوئاً نسبياً بعد مضي سنتين على تلك الحادثة .

وعلى الرغم من انسحاب القوات الاميركية من العديد من المدن الكبيرة، إلا أنهم مازالوا يتواجدون في ضواحي كركوك ، على طول الحدود ما بين الأكراد والعرب.

هذا وقد قابلنا القوات الاميركية في رحلتنا الاخيرة. فبينما اقتربت السيارة التي كانت تقلنا من رتل اميركي، لوّح لنا احد الجنود الشبان وسمح لنا بالاجتياز. في الماضي ما كان هذا ليحدث لأنه أشبه بإستحالة حيث عادة ما يكون الجندي الذي يجلس في الخلف مشدود الاعصاب وهو يلوح للشاحنات في الخلف الى البقاء في مكانها، مسبباً تراحماً خلف الرتل.

لكن مازالت المنطقة التي «حاذي العظيم غير آمنه بالكامل ، حيث مازال الناس يحاولون عدم المكوث هناك لما بعد وقت الغروب ولأي سبب من الأسباب.

قبل سنتين من الآن ، كانت حركة المرور سريعة جداً في هذا المكان ، حيث تدق القلوب بسرعة هوائي سرعة المحركات للخروج منه بالسرعة ذاتها.

أما اليوم فتتوقف السيارات لأبتباع ثمار الرقي التي أخذت مكان العبوات على طول الطريق.

أيوب نوري - صحفي مستقل يعمل في معهد صحافة الحرب والسلام - حلبجة
Iraq :Location
Iraq :Focus

Source URL: <https://iwpr.net/ar/global-voices/%D8%AB%D9%85%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%82%D9%8A-%D8%AA%D8%AD%D9%84-%D9%85%D8%AD%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A8%D9%88%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A7%D8%B3%D9%81%D8%A9-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%B7%D8%B1%D9%8A%D9%82>